

الحلقة السادسة والثلاثون

سلسلة مواضيع عملية

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. ما هو موقفك من التحذيرات؟ هل تستطيع أن تردك عن القيام بعمل ضار لصحتك؟ تحت عنوان: عواميد السرطان لشباب لا يبالي، طلاب مصر مولعون بالتدخين، جاء التقرير التالي في جريدة الحياة:

"عمود السرطان" هذا هو الاسم الذي يطلقه شباب الجامعات والمدارس الثانوية في مصر على السجارة. يقول أحدهم للبائع في معظم المحلات والأكشاك الموجودة بكثرة أمام وخلف وحول كل مدرسة وجامعة في مصر: ناولني عمود السرطان. ويبدو أن التحذيرات المكتوبة على العلبة، من نوع "التدخين يسبب السرطان" و "التدخين يؤدي إلى الوفاة" وغيرهما، لا تلفت انتباههم، أو ربما يعتبرونها جزءاً لا يتجزأ من علبة السجائر. إلى درجة أنهم يضحكون مقهقين، بينما يشعلون عواميد السرطان.

ورغم المحاضرات العديدة للطلاب في المدارس والجامعات عن الصحة، ونسبة كبيرة منها عن التدخين، فإن عدد المدخنين في مصر مازال يرتفع. فهناك نحو ١٩ مليون مدخن ومدخنة، أي ثلث شعب مصر، و ٤ في المئة منهم دون الخامسة عشرة، ونصف في المئة دون سن العاشرة. ويدخن الآباء والأمهات والمعلمون والطلاب يوميا أكثر من ٥٢ بليون سجارة في أرجاء مصر. ويحتفلون كل ساعة بانضمام ٢٥ مدخنا جديدا إليهم، معظمهم من الشباب والمراهقين والأطفال. ويدخن ٦ في المئة من المراهقين، وترتفع هذه النسبة إلى ١٥ في المئة بين المراهقين العاملين.

وتؤكد الدراسات التي أجرتها وزارة الصحة المصرية، أن غياب القدوة بين طلاب الجامعات هو السبب الرئيسي في إقبالهم على التدخين. بل أن الأشخاص الذين يتعين عليهم تقديم القدوة الإيجابية هم غالبا يدخنون، فـ ٤٥ في المئة من المعلمين المصريين و ٤٣ في المئة من الأطباء يدخنون. وتبلغ الكلفة السنوية لمعالجة الأمراض الناجمة عن التدخين نحو ٥٤٥ مليون دولار. مع العلم أن ٩٠ بالمئة من حالات سرطان الرئة في مصر سببها التدخين.

وعلى رغم أن مصر أنجزت العديد من مشاريع التوعية الناجحة في مجال مكافحة التدخين منذ عام ألفين، بالإضافة إلى القوانين التي تجرم التدخين في المباني العامة والحكومية ووسائل المواصلات، فإن الجمهور يحتاج إلى قدر أكبر من المتابعة والاستمرارية.

ما هي الوسائل الناجعة التي نستطيع من خلالها التأثير فعلا على المراهقين والطلاب؟ بعد أن تبين أن التحذيرات الواضحة، والمحاضرات التي تؤكد مدى خطورة التدخين لم تعد تجد نفعاً. حتى منع الناس من التدخين في أماكن معينة لم يأت بثماره المقصودة. والذي زاد في تفاقم المشكلة، هو غياب القدوة الصالحة، كما توصلت دراسة وزارة الصحة المصرية. إذ تبين أن نسبة كبيرة من المعلمين والأطباء يدخنون. وهم الذين كان من المفروض أن يكونوا نموذجاً صالحاً يقتدي الطلاب به.

يقول خبير الأوبئة في مكتب التدخين والصحة في أتلانتا بالولايات المتحدة الأميركية الدكتور ويك وارن: الأسلوب الأمثل لمخاطبة الشباب والمراهقين في مجال التدخين يكون من خلال مجموعات شبابية يتم تدريبها لتتجول على المدارس والجامعات، لتتحدث مع الشباب والمراهقين، حديث الشاب للشباب. وأضاف قائلاً: للأسف، نجحت شركات السجائر الكبرى في أن يكون لكل منها شعار أو صورة مرتبطة في الأذهان. أما حملات مكافحة التدخين فليست راسخة لأن ليس لها رسالة أو شعار أو صورة جذابة تترسخ في أذهان الشباب والمراهقين.

وإذا كان لا بد لمحاولات الإقلاع عن التدخين بين الشباب والمراهقين من أن تبدأ في مكان ما، فهناك اقتراح من فنلندا اسمه: أفلع وفز. وتقول مديرة المشروع إيفا ريتا إن الاقتراح يعتمد على مسابقات مادية تتراوح بين عشرة آلاف و ٢,٥٠٠ دولار لمن ينجحون في الإقلاع عن التدخين.

صديقي المستمع، كما لاحظنا هناك اقتراحات متعددة تهدف إلى الحد من انتشار عادة التدخين بين الطلاب والمراهقين. والكل يبحث عن الوسائل الفعالة التي لا بد أن تأتي بالنتائج المطلوبة. لكن هناك حقيقة يتجاهلها معظم الناس وهي وقوع الإنسان تحت سيطرة وعبودية العادات الفاسدة. فلنعالج الأمر علينا أن نعود إلى جذور المشكلة، وليس إلى مظاهرها. أي علينا أن نعالج مشكلة فساد الإنسان من الداخل، ووقوعه بسهولة في قبضة كل ما هو شرير وفساد، حتى وإن حاول بنية صادقة تحرير نفسه. إذ يكتشف عجزه وضعفه أمام الإغراءات.

قال المخلص المسيح مرة لليهود: "الحق أقول لكم إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية... فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً." (بشارة يوحنا ٨: ٣٤، ٣٦) هناك حقيقتان هامتان ذكرهما المخلص المسيح في هذا التصريح الهام.

الحقيقة الأولى: أن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية. وهذه الحقيقة واضحة جدا في كل أسفار الكتاب المقدس. لا بل إن كلمة الله تؤكد أن كل البشر خطاة. فهذا هو النبي داود يكتب في المزمور قائلا: "الله من السماء أشرف على بني البشر لينظر هل من فاهم طالب الله. كلهم قد ارتدوا معاً فسدوا ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد." (مزمور ٥٣: ٣ و٢)

ثم عاد الرسول بولس في العهد الجديد وأكد هذه الحقيقة مقتبساً من المزمور قائلا: "كما هو مكتوب أنه ليس بار ولا واحد." (رومية ٣: ١٠) إن كون جميع البشر خطاة، فهذا يعني أنهم جميعاً عبيد للخطية كما أعلن المخلص المسيح. وكونهم عبيداً للخطية فهم بحاجة إلى من يحررهم من هذه العبودية.

وهنا نأتي إلى **الحقيقة الثانية** التي أعلنها المخلص المسيح وهي أن الحرية الحقّة تكون عن طريق المخلص المسيح. أجل يا صديقي، إن المخلص المسيح هو المحرر الحقيقي للإنسان من عبودية الخطية. ولهذا قال المسيح: إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً. فعندما يؤمن الإنسان بالمخلص المسيح، يحرره من عبودية الطبيعة الفاسدة التي ورثها، طبيعة الخطية التي أدلته وتذله كل يوم.

هذه هي رسالة المسيحية الحقّة، رسالة التحرير من العبودية، والخلص. ولهذا أرسل الله كلمته الأزلي، الابن الوحيد المخلص المسيح، لكي يحرر الإنسان ويعتقه، ويجعله خليفة روحية جديدة. ولهذا نطلق على هذه الرسالة اسم الأخبار المفرحة، أو البشارة المفرحة.

فهل تراك صديقي تتجارب مع هذه الأخبار المفرحة؟ لقد أتى المخلص المسيح ومات من أجلك على الصليب، ثم قام من بين الأموات وصعد حياً إلى السماء. فعل كل هذا لكي يحررك من عبودية الخطية، ويغفر خطاياك، ويجعلك خليفة روحية جديدة، ويهبك الحياة الأبدية. لقد جرّب الكثيرون خلاص المسيح، فتحرروا وبلحظة واحدة من كل عاداتهم الفاسدة، وملاً فرح الله وسلامه العجيب قلوبهم، وصاروا بالحق أناساً جدداً. فهل تود أنت أن تكون من هؤلاء المحرّرين؟